حضارات شعوب سوريا القديمة (1)

أولا: شعوب سوريا القديمة:

أ- الاراميون :

أطلق لفظ الآراميون على مجموعة من القبائل التي تتحدث بالآرامية وهي إحدى اللهجات السامية الشمالية الغربية مثل الكنعانية والعربية، ويعود أصلهم إلى شبه الجزيرة العربية التي كانت يتواجدون فيها في الالف الثانية قبل الميلاد ، وكانوا من البدو، وذلك قبل مجيئهم إلى بلاد الشام، واستقرارهم بين مدينة بابل وحوض الخابور والفرات وشمال سوريا حتى فلسطين، والذي بدأ منذ القرن الحادي عشر ق.م في الفترة بين 1077-911 ق.م، مستفيدين من ضعف الدولة الاشورية بعد موت "تغلات فلاسر الأول" عام 1077ق.م وانهيار الإمبراطورية الحثية على يد شعوب البحر.

وقد كان اندفاع القبائل الارامية اولا في اتجاه بلاد الرافدين على طول نهر الفرات ابتداء من فترة حكم اشور دان الاول (1179-1134 ق.م)، وتغلات بلاسر الاول (1115-1077 ق.م)، فاصطدموا بالقوات الاشورية فتوقف تدفقهم وتحولوا على بلاد الشام وظلوا متنقلين، ثم استانفوا زحفهم شمالا وشرق، حتى بلغوا مشارف أشور نفسها ، وتغلغلوا في بابل، واستولوا على الحكم فيها ، فالملك أدد – أنا –ادن الذي حكم بين (1069-1046 ق.م) هو من الآراميين وكذلك الملك "مردوخ بلادان" الذي حارب سرجون الثاني الاشوري في بابل، واستمر الاراميون في التواجد حول بابل ومن هؤلاء جاء الكلدانيون الذين كانوا يستقرون قرب بابل ويمارسون التجارة ، ثم استولى زعيمهم "نابوبولاسار" على بابل، ثم تحالف مع الميديين وشعوب اخرى ضد الاشوريين وتمكن من القضاء عليهم سنة 612 ق.م، وأسس السلالة البابلية الثانية (612-539 ق.م) .

والجدير بالذكر ان الباحثين قد اختلفوا في نسبة الكلدانين الذين اسسوا سلالة بابل الثانية إلى الاراميين، وقد انتشر الاراميون انتشارا واسعا فلم يفلح الملوك الاشوريون

مثل "تغلات فلاسر الاول" و" اشور –بل– كالا الاول "في ايقاف توسعهم، فقد اتجهوا نحو الغرب حتى حماة وصوبا ودخلوا في جوار مع مملكة اسرائيل ، وفي الشرق حتى تجاوزوا نهر دجلة شرقا وسكنوا في اقليم بين بابل وعيلام، وفي الشمال الشرقي سكنوا مناطق بين جبال طوروس و جبال زاغروس، لكن قوة الاشوريين هي من جعلتهم يعجزون عن تأسيس دولة مركزية، فقد اسسوا دويلات مدن متنافرة، وفي القرن الثامن قبل الميلاد كانوا يشغلون جزء من بلاد الرافدين الجنوبية بالإضافة إلى بلاد الشام وصولا إلى أرض كنعان .

وقد ذكر الآشوريين في نصوصهم الاراميون بسم "الأخلامو"، وقد ترك "تغلات بلاسر الثالث " قائمة ل35 قبيلة من الاراميين الذي هزمهم ، كما فعل ذلك أيضا "سرجون الثاني" و"سنحريب" ، وأما "اشور بانيبال " فقد وصفهم كقطاع طرق ، ولا شك أنهم استقروا وكونوا ممالك آرامية ثم اتسعت مناطق استقرارهم في أواخر الألف الثاني ق.م شرقي الفرات وغربه، وذلك في ضل غزوات شعوب البحر التي انهارت بسببها الإمبراطورية الحيثية في الأناضول وسوريا الشمالية، وانحسر نفوذ مصر القديمة عن بلاد كنعان وضعف بابل الكاشية، وضعف الملوك الاشوريين في ذلك الوقت.

وقد جاء ذكر "الأخلامو" الذين كان يقصد بهم الاراميون منذ القرن الرابع عشر ق.م في المصادر الحيثية وهي حوليات الملك "حاتوشيلي الثالث" ، وكذلك في المصادر الآشورية التي تعود للملك "أدد نيراري الأول" (1307–1275 ق.م)، كما جاء ذكرهم في رسائل تل العمارنة في عهد إخناتون حوالي 1375 ق. م، ثم اصبح يطلق عليهم اسم "الآراميون" في وثائق الملك الآشوري "تغلات بلاصّر الأول" (1116–1076 ق.م) الذي شن عليهم وعلى "الأخلامو" أيضًا ثمانية وعشرين حملة، وهو ما يعني ان الاراميون مختلفون عن "الاخلامو ".

وفي نهاية القرن الحادي عشر ق.م أسس الآراميون مملكة "بيت عديني" (جرابلس اليوم) ، وأسسوا في وادي الخابور إمارات "لاقي "وبيت بخياني" و"تل حلف"، و"بيت خالوب"، ومملكة سمآل (زنجرلي في تركي) ، وأسسوا مملكة "بيت أجوشي" في

حلب، كما انتشروا في حوض العاصي في سوريا وحماة، وفي سهل البقاع وعلى سفوح الجبال غرب دمشق قامت "مملكة صوبة"، ومملكة "بيت رحوب" على نهر الليطاني، و"بيت معكة" على سفوح حرمون السورية، و"مملكة جشور" شرق بحيرة طبريا و"مملكة دمشق" .

وأما أهم دولة آرامية فهي والجدير بالذكر أن الدولة البابلية الثانية الكلدانية تعود إلى الاراميين ، وقد استطاعت هذه المجموعات الآرامية ما بين القرنين الثاني عشر والثامن قبل الميلاد أن تسيطر على بلاد واسعة في الجزيرة الفراتية في سوريا بين دجلة والفرات ، وقد أُطلق اسم الآراميين على البلاد التي سكنوها، فدُعيت باسم بلاد آرام قرونًا عدة قبل أن تعرف منذ العصر الهلنستي السلوقي باسم سوريا وكان ذلك في القرن الرابع قبل الميلاد[1].

ب- الفلست (الفلسطينيون):

وهم من شعوب البحر الذي انطلقوا من سواحل البحر الاسود ونزلوا الى الجنوب ، ويعتقد المؤرخون أنهم كانوا ضمن الشعوب التي كانت تعرف بشعوب البحر، وقد بدأت هذه الشعوب في تهديد مصر في عهد الفرعون رمسيس الثاني ثم في عهد مرنبتاح تشكل حلف كبير متكون من عدد من الشعوب يقودوهم القائد الليبي "مري بن أدد"[2] .

ومن المفترض أن "الفلست" لم يظهروا في عهد رمسيس الثاني، حيث تذكر النصوص المصرية التي عثر عليها في مدينة "اخيت اتون" عاصمة الملك المصري اخناتون وهي المعروفة بتل العمارنة اليوم، أن "التورشا" و"الشيكلش" و" الاكيوش" وهم من شعوب البحر غزو مصر في عهد الفرعون "مرنبتاح"، بينما حارب المصريون كل من "الفلست" و"التجاكر" و"الدانيون" في عهد الفرعون رمسيس الثالث.

---

[1] Grohmann, "The Arabs", the Encyclopedia of Islam, New Ed, p 525

[2] مصطفى كمال عبد العليم، 1966، دراسات في تاريخ ليبيا القديم ، بنغازي : الجامعة الليبية ، ص20-32

وبعد هذه الهزيمة ، توجه جزء من "التجاكر" و"الفلست" إلى الساحل الكنعاني فغزو المدن الفنيقية ، كما هاجموا بلاد "أمورو" واندمجوا مع السكان الاصليين.